ألا وإنَّ فيهم تصديقًا عمليًا لقول رسول الله ﷺ: «تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ»[1]، فقد تمسكوا بهما فثبَّتوا، وساروا فسبقوا، فكانوا آيةً تمشي على الأرض، وشاهدًا على أنَّ الدِّين إذا خالطتْ بشاشتُه القلوب، فلا تحجبه الفجوات، ولا تُطفئه الهجمات.

يُحدِّثُك الشهيد المؤلّف في هذا الكتاب عن المشاهد كما رآها بعينه، وعاشها بجسده وروحه، بدءًا من يوم السابع من أكتوبر، ذلك اليوم الذي دوَّى في ذاكرة الأمة كأحد أعظم أيام هذا الزمان، حين اندفعتْ كوكبةٌ من المجاهدين تقتحم الأسوار، وتعبر السياج، وتفتح صفحةً جديدةً من ملحمة العزِّ والجهاد.

يحدّثك عن فداء الشباب، وعن الإقدام الذي لا يعرف التردُّد، وعن الجهاد الذي خُطَّتْ ملامحُه بالدم قبل أن يُسجَّل على الورق، ويظلُّ معك في هذا السرد الوثيق حتى قُبيل استشهاده بأيامٍ معدودات، كأنّه يناولك الشعلة الأخيرة وهو واقفٌ على حافة الخلود.

يمضي الكاتب في وصف المواقف والبطولات التي حَفلتْ بها تلك الشهور الثقيلة، فيكتب عن رجالٍ أقبلوا على الموت بقلوبٍ مطمئنّة، وصدورٍ عامرةٍ باليقين، وعن ثباتٍ لا تزعزعه القذائف، وصبرٍ لا تحدُّه الجراح، وعن تضحياتٍ تُطأطئ لها جبهةُ التاريخ ناصيَتها.

ومع كل هذه المعاني العظيمة، لم يُغفل المؤلِّف رهافة الشعور، إذ تحدَّثَ بحُرقةٍ عن تحسُّر المجاهدين لدخول شهر رمضان دون أن يتمكَّنوا من الصلاة في مساجدهم، وقد دُمِّرت وسُوِّيت بالأرض، وكان هو نفسه قد ذهب ذاتَ يومٍ وصلَّى على أنقاض مسجده المُهدَّم، ولعلَّ أكثر ما أوجعه في ذلك الشهر المبارك أنَّ الأمة لم تتحرّك، ولم تنتفض، ولم تتحوَّل مساجدها إلى ميادين ثورةٍ ورفض، كما كان يرجو من علماء الأمة أن يقودوا الشعوب إلى غضبةٍ تُوقظ

(1) موطأ الإمام مالك، حديث رقم 1874.